الوضع السياسي وتحولات السلطة في حلب في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي

Political Situation and Power Transformations in Aleppo during the 7th Hijri Century / 13th Century AD

عدنان مولان عماش

Adnan Moulani Ammash

جامعة سامراء / كلية التربية / قسم التاريخ

University of Samarra / College of Education / Department of History

07707053331

أ.د. علي عبد الحافظ حمودي

Prof. Dr. Ali Abdel Hafiz Hammoudi

جامعة سامراء / كلية التربية / قسم التاريخ

University of Samarra / College of Education / Department of History

الكلمات المفتاحية: الوضع السياسي، تحولات السلطة، حلب، القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

Keywords: Political situation, Power transformations, Aleppo, 7th Hijri century, 13th century AD.

الملخص

يتناول هذا البحث التحولات السـياسـية والعمرانية والعلمية التي شـهدتها مدينة حلب خلال القرن السـابع الهجري/الثالث عشـر الميلادي، في ظل تراجع الدولة الزنكية وصـعود قوى إقليمية جديدة. فقد أسهم الصراع بين الزنكيين والأيوبيين، عقب وفاة نور الدين زنكي، في إضعاف النفوذ الزنكي، إلى أن انتهى وجودهم السياسي نهائيًا مع سيطرة المماليك بعد معركة عين جالوت. كما شكّل الغزو المغولي لحلب سنة 658هـ/1260م محطة مفصلية في تاريخ المدينة، لما خلّفه من دمار واسع طال المنشآت العمرانية والدينية والعلمية.

ورغم هذه الكوارث، استطاعت حلب في العهد المملوكي أن تستعيد مكانتها، حيث شـهدت حركة عمرانية نشـطة تمثلت في إعادة بناء الأسـوار والقلعة والأسـواق والمسـاجد، فضـلًا عن توسـعة الأحياء وتنظيم شـبكة المياه. وعلى الصـعيد العلمي، حافظت المدينة على دورها كمركز إشـعاع علمي بفضـل دعم المدارس، ونظام الأوقاف، ورعاية الحكام والعلماء. كما برز التصـوف والزوايا والخوانق كقوى روحية واجتماعية فاعلة، أسـهمت في ترسـيخ الاسـتقرار الاجتماعي وتقديم الدعم للفئات المحتاجة. وبذلك تعكس تجربة حلب في هذا القرن قدرتها على التكيّف والصمود، وتحويل الأزمات إلى دوافع لإعادة البناء والنهضة.

Abstract

This research addresses the political, urban, and scientific transformations witnessed by the city of Aleppo during the 7th Hijri century / 13th century AD, amidst the decline of the Zengid state and the rise of new regional powers. The conflict between the Zengids and Ayyubids, following the death of Nur ad-Din Zangi, contributed to the weakening of Zengid influence, ultimately leading to their complete political demise with the Mamluk takeover after the Battle of Ain Jalut. Additionally, the Mongol invasion of Aleppo in 658 AH / 1260 AD marked a turning point in the city's history, leaving widespread destruction to its urban, religious, and scientific structures.

Despite these disasters, Aleppo was able to regain its status during the Mamluk era, witnessing active urban development, including the rebuilding of city walls, the citadel, markets, and mosques, in addition to expanding neighborhoods and organizing the water network. On the scientific front, the city maintained its role as a center of intellectual and scientific brilliance, supported by schools, the endowment system, and patronage from rulers and scholars. Sufism, along with the zawiyas and khanqahs, emerged as active spiritual and social forces, contributing to the establishment of social stability and offering support to the needy. Thus,

Aleppo’s experience during this century reflects its resilience and ability to adapt, turning crises into opportunities for reconstruction and revival.

المقدمة

شهدت مدينة حلب خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تحولات سياسية وعسكرية وعمرانية وعلمية عميقة، ارتبطت بتراجع الحكم الزنكي، وصعود القوى الإقليمية الجديدة المتمثلة بالأيوبيين والمغول ثم المماليك. وقد انعكست هذه التحولات بصورة مباشرة على البنية السياسية للمدينة، كما تركت آثارًا واضحة في عمرانها، ومؤسساتها العلمية، وحياتها الفكرية والروحية. وتكتسب دراسة هذه المرحلة أهمية خاصة؛ لما تمثله من مفصل تاريخي حاسم أسهم في إعادة تشكيل مكانة حلب في بلاد الشام، بوصفها مركزًا سياسيًا وعسكريًا وعلميًا بارزًا. ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أسباب زوال الحكم الزنكي في حلب، وتحليل تداعيات الغزو المغولي، ودور الدولة المملوكية في إعادة إعمار المدينة، فضلًا عن إبراز المظاهر العمرانية والعلمية، ودور المؤسسات التعليمية والتصوف في الحفاظ على استمرارية النشاط الفكري والاجتماعي، رغم ما شهدته المدينة من أزمات واضطرابات.

شهدت الدولة الزنكية في حلب خلال القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) مرحلةَ اضمحلالٍ تدريجي، تمخضت عنها نهايتها في خضم التحولات السياسية والعسكرية التي عصفت بالمشرق الإسلامي، لا سيما مع صعود القوى الجديدة المتمثلة بالأيوبيين والمغول والمماليك، ومن اهم الاسباب التي ادت الى زوال الحكم الزنكي في حلب(زكار، 1993، 125-160).

أ. تنافس الأيوبيين والزنكيين

بعد وفاة نور الدين زنكي (569 هـ / 1174 م) دخل الزنكيون في صراع مع صلاح الدين الأيوبي، الذي نجح في توحيد مصر ومعظم بلاد الشام تحت سلطته بعد معركة حطين(معركة حطّين: تُعدّ معركة حطّين من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي خلال فترة الحروب الصليبية، وقعت في 25 ربيع الآخر سنة (583هـ / 1187م) بين القوات الإسلامية بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي وجيوش مملكة القدس الصليبية بقيادة الملك غي دي لوزينيان. (ابن الأثير، 1998، 220/10) (583 هـ / 1187 م) وعلى الرغم من بقاء حلب تحت حكم الأمراء الزنكيين، مثل الظاهر غازي(الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي:هو الملك الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، أحد أبرز ملوك الدولة الأيوبية، وُلد سنة 568هـ / 1173م، وهو الابن الثالث للسلطان صلاح الدين الأيوبي، تولّى حكم مدينة حلب بعد وفاة والده سنة 589هـ / 1193م، وظلّ حاكمًا عليها حتى وفاته سنة 613هـ / 1216م (ابن واصل، 1953، 112/2)بن صلاح الدين (الذي حكم حلب من 582 هـ إلى 613 هـ/ 1186-1216م) فإن النفوذ الزنكي تقلص لصالح الأيوبيين، وقد أشار ابن الأثير إلى أن الأيوبيين أصبحوا القوة المهيمنة في المنطقة، بينما اقتصر حكم الزنكيين على إمارات محدودة(ابن الأثير، 1998،12/ 78).

ب. نهاية الوجود الزنكي

بعد انتصار المماليك في معركة عين جالوت(معركة عين جالوت: تُعدّ معركة عين جالوت من أعظم المعارك في التاريخ الإسلامي، إذ مثّلت نقطة تحوّل حاسمة في مواجهة المدّ المغولي الذي اجتاح المشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري، وقعت المعركة في سنة(658هـ – 1260م) في سهل عين جالوت بفلسطين، بين جيش المسلمين بقيادة السلطان المملوكي سيف الدين قطز ونائبه ركن الدين بيبرس، وبين جيوش المغول بقيادة كتبغا نويان. (ابن كثير، 1988، 240/13) بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس، على المغول استعادوا السيطرة على حلب وضمُّوها إلى دولتهم، وقد أزال المماليك آخر بقايا الحكم الزنكي، حيث لم يعد للأمراء الزنكيين أي دور سياسي أو عسكري بعد ذلك، ويذكر الذهبي أن المماليك أعادوا تنظيم بلاد الشام تحت حكمهم المركزي، مما أنهى عصر الإمارات الزنكية المستقلة(الذهبي، 1993، 49/ 112).

ج. انتقال السلطة إلى المماليك

بسقوط حلب في أيدي المغول أولاً، ثم انتقالها إلى المماليك، انتهى الوجود السياسي والعسكري للزنكيين في المنطقة. وقد أدت هذه التطورات إلى تحولات جيوسياسية كبرى، حيث أصبحت بلاد الشام جزءًا من الصراع بين المماليك والمغول، ثم خضعت لاحقًا للدولة العثمانية، وبهذا، يُعد القرن السابع الهجري نهايةً لعصر الدولة الزنكية في حلب، بعد أن لعبت دورًا مهمًّا في مواجهة الصليبيين، ثم تلاشت تحت ضغط القوى الإقليمية الجديدة.

دخول الأيوبيين ثم المغول إلى حلب في القرن السابع الهجري

شهدت حلب في القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) تحولات جذرية في السياسية، حيث انتقلت من الحكم الزنكي إلى السيطرة الأيوبية، ثم الغزو المغولي، قبل أن تخضع أخيرًا للمماليك، وفيما يلي تحليلٌ مفصلٌ لهذه المراحل، مع الاستناد إلى المصادر التاريخية الأساسية(زكار، 1993، 218–250).

أ. الغزو المغولي واحتلال حلب (658 هـ/1260م)

في منتصف القرن السابع الهجري، شهدت حلب واحدة من أقسى مراحلها التاريخية مع اجتياح القوات المغولية بقيادة هولاكو للمشرق الإسلامي، وبعد سقوط بغداد سنة (656 هـ/1258م) تقدم المغول نحو بلاد الشام، وحاصروا حلب في سنة (658 هـ– 1260م) وأسفر هذا الحصار عن سقوط المدينة بعد مقاومة قصيرة، حيث دمر المغول أجزاء كبيرة منها وقتلوا آلاف السكان بما في ذلك العلماء والمدنيين والعزل، وصف ابن واصل الدمار الذي حلّ بالمدينة، مشيرًا إلى أن المغول أحرقوا المساجد وقتلوا العلماء وسبوا النساء والأطفال وحاول الناصر يوسف، آخر الأمراء

الأيوبيين في دمشق وحلب، التحالف مع المماليك لمواجهة المغول لكنه فشل في تنظيم دفاع فعال مما أدى إلى فراره وانهيار الحكم الأيوبي في الشام(الذهبي، 1993، 340).

ب.حلب تحت الاحتلال المغولي

قبل معركة عين جالوت، كانت حلب قد سقطت في أيدي المغول بقيادة هولاكو في صفر 658هـ– 1260م) بعد حصار قصير دُمّرت خلاله أجزاء من المدينة، حيث أحرق المغول المساجد وقتلوا العلماء، وسبوا النساء والأطفال، وأصبحت حلب تحت إدارة مغولية مباشرة، حيث عيّن هولاكو عليها المظفر سيف الدين قطلو بغا حاكماً مغولياً عليها(الهمذاني، 1987، 210/2).

ج. الآثار طويلة المدى

تحوّل حلب إلى مركز مملوكي بعد تحريرها وأصبحت إحدى أهم المدن في الشام، حيث اتخذها المماليك قاعدةً عسكريةً ضد المغول، وبسبب التوترات مع المغول ظلّت حلب عرضةً لتهديدات المغول، مما دفع المماليك إلى تعزيز وجودهم العسكري فيها وكان لمعركة عين جالوت أثر بالغ في مصيرها، حيث حرّرتها من الاحتلال المغولي القصير و المدمر، وفتحت صفحة جديدة في تاريخها تحت الحكم المملوكي، وقد استفاد المماليك من الموقع الاستراتيجي لحلب لجعلها حصناً منيعاً في وجه التهديدات الخارجية، وهذه الأحداث شاهدةً على أهمية حلب كمركز سياسي وعسكري في بلاد الشام خلال العصور الوسطى(ابن الأثير، 1998،112/9).

المبحث الثاني: المظاهر العمرانية في حلب خلال القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي

شهدت حلب في القرن(السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي) تحولات عمرانية كبيرة، تمثلت في توسعة المدينة وتعزيز تحصيناتها، خاصة في ظل التهديدات المغولية وانتقال السلطة إلى المماليك بعد معركة عين جالوت اعتمدت هذه التطورات على إستراتيجية دفاعية واقتصادية، جعلت من حلب واحدة من أهم المدن المحصنة في بلاد الشام، وسوف تستعرض هذه الدراسة أبرز المظاهر العمرانية خلال هذه الفترة الزمنية(الزيات، 2016، 85–130) .

أ . تخطيط المدينة

توسعة الأحياء بعد التحرير المملوكي، شهدت حلب توسعاً في أحيائها الرئيسية، مثل حي الجلوم(حي الجلوم في مدينة حلب بعد تحرير المماليك: يُعدّ حي الجلوم من أقدم وأعرق أحياء مدينة حلب التاريخية، وقد اكتسب أهميته الكبرى بعد تحرير المدينة من المغول ودخولها تحت الحكم المملوكي سنة (658هـ / 1260م) يقع الحي في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة القديمة بالقرب من الجامع الأموي الكبير، ويُعتبر من المراكز الحضرية الأساسية التي احتضنت النشاطين الديني والعمراني خلال العهد المملوكي (ابن شداد، 1991، 115/1) وحي باب الفرج(حيّ باب الفرج في مدينة حلب بعد تحرير المماليك: يُعدّ حيّ باب الفرج من أبرز أحياء مدينة حلب التاريخية،

وقد اكتسب أهمية خاصة بعد تحرير المدينة من المغول ودخولها تحت الحكم المملوكي سنة (658هـ / 1260م) يقع الحي في الجهة الشمالية الغربية من المدينة القديمة، خارج الأسوار القديمة بالقرب من باب الفرج أحد أبواب حلب المشهورة، والذي كان يُعدّ مدخلًا رئيسًا للمدينة من جهة الشمال(ابن شداد، 1991، 117/1)، اللذين ازدحما بالأسواق والمساجد ذكر ابن شداد أن الأسواق مثل سوق العطارين وسوق الحدادين تم إعادة بنائها بعد الدمار المغولي، مما عزز النشاط التجاري، وجددت شبكة المياه فأُعيد تأهيل قناة حلب التي كانت تمد المدينة بالماء من نبع عين التل، كما تم بناء صهاريج جديدة لتخزين المياه، و المساجد والمدارس أعيد بناء المتضرر منها فجدد الجامع الأموي الكبير الذي أُصلحت منارته بعد تضررها من الغزو(زكار، 1993، 180).

ب . **تحصين الأسوار والأبراج واعادة بنائها**

بسبب العمليات العسكرية تعرضت أسوار حلب لأضرار جسيمة خاصة في الجهة الشرقية، وفأعاد السلطان الظاهر بيبرس (658–676هـ/1260–1277م) (السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (ت. 689 هـ / 1290 م) هو أحد أبرز سلاطين المماليك في مصر والشام، ويُعد من القادة العسكريين والسياسيين البارزين في القرن الثالث عشر الميلادي، وُلد بيبرس في منطقة القفقاس، وأُسِر صغيرًا فباعه التجار إلى مصر، حيث دخل في خدمة المماليك الأيوبيين ثم المماليك البحرية؛ (ابن الأثير، 1998 ،345/12) بناء الأسوار وعززها بالحجارة الكلسية، مع زيادة سماكتها إلى 3 أمتار في بعض الأجزاء، وبناء الأبراج الدفاعية أضاف المماليك أبراجاً نصف دائرية على طول السور، مثل برج السفيرة(برج السفيرة في مدينة حلب هو أحد الأبراج الدفاعية المهمة التي شُيدت أو جُدِّدت خلال عهد المماليك في القرن السابع الهجري، ويقع في الجهة الشرقية من أسوار المدينة، بالقرب من طريق التجارة المؤدي إلى دمشق، لعب البرج دورًا استراتيجيًا في حماية المدينة من الغزوات. (ابن الأثير، 1998، 12/ 372) وبرج الميدان(برج الميدان في مدينة حلب هو أحد الأبراج الدفاعية البارزة ضمن أسوار المدينة التي أعاد المماليك تنظيمها وتقويتها خلال القرن السابع الهجري، يقع البرج في الجهة الغربية من أسوار المدينة، بالقرب من منطقة الميدان التي كانت تشتهر بالأسواق والأنشطة التجارية. (ابن شداد، 1991، 1/ 52)، لتعزيز القدرة على مواجهة الحصار ورصد اي تهديد خارجي، وجُددت بوابات المدينة الرئيسية، مثل باب أنطاكية وباب النصر(باب النصر هو أحد الأبواب الرئيسية لمدينة حلب، وقد شهد تطويره وتقويته خلال عهد المماليك في القرن السابع الهجري، يقع الباب في الجهة الجنوبية الشرقية من

أسوار المدينة، وكان يمثل مدخلًا حيويًا للمسافرين والتجار القادمين من الجنوب. (ابن شداد، 1991، 1/ 42)، وزُودت بأبواب حديدية ومسننات لصد الهجمات(ابن فضل الله، 2010، 112/3)، كما أعاد المماليك بناء الأجزاء المتضررة من القلعة وأضافوا الخندق المائي حولها، زادوا في ارتفاع أسوارها، أصبحت القلعة مركزاً للجيش المملوكي في شمال الشام وفقاً لوصف القلقشندي بانها من احصن القلاع الاسلامية ومقر عساكر الشام، ومستودع السلاح، وبها من التحصين ما يتعذر على المهاجمين من اقتحامها، فهي دار الامارة ومجمع الجند، ومركز القيادة العسكرية في تلك الديار (القلقشندي، 1987، 78/4).

ج .**العوامل المحفزة للنشاط العمراني**

التهديد المغولي دفع المماليك إلى تعزيز التحصينات، خاصة بعد غزوات تيمورلنك(تيمور بن ترغاي بن ألغاي الملقب بتيمورلنك (أي تيمور الأعرج) مؤسس الدولة التيمورية وأحد أبرز القادة العسكريين في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين وُلد سنة 736هـ/1336م في مدينة كش (قرب سمرقند) في بلاد ما وراء النهر ونشأ في بيئة عسكرية قبلية واستطاع بفضل قوته العسكرية ودهائه السياسي أن يفرض سيطرته على مناطق واسعة شملت خراسان وبلاد فارس والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى والهند عُرف تيمورلنك بشدته البالغة في الحروب واعتماده سياسة القمع والتدمير لإخضاع المدن المتمردة وكان لغزواته آثار مدمرة على العمران والسكان ولا سيما في مدن مثل بغداد ودمشق وحلب ومع ذلك اهتم بتشجيع الفنون والعمارة في عاصمته سمرقند التي جعلها مركزًا حضاريًا بارزًا توفي تيمورلنك سنة 807هـ/1405م أثناء توجهه لقيادة حملة عسكرية نحو الصين وترك بعد وفاته دولة مترامية الأطراف سرعان ما دخلت في صراعات داخلية. (ابن عربشاه، 1979، 15–22، 145–152) لاحقاً(قاسم، 1998، 130)، والموقع الاستراتيجي جعلت أهمية حلب كحاجز بين المماليك والمغول منها نقطة تركيز للاستثمار العمراني، وإحياء طريق الحرير، واستعادت حلب دورها كمركز تجاري بين الشرق والغرب، مما دعم تمويل المشاريع العمرانية، كما ساهم نظام الأوقاف في تمويل بناء المساجد والمدارس، كما ذكر ابن الشحنة(ابن الشحنة، 1984، 190)، قوله (وكثرت في حلب الاوقاف على المدارس والمساجد والربط والخوانق حتى غدت المدينة من اعمر بلاد الشام علما وفقها، مما يعكس الدور المركزي للاوقاف في احياء الحركة العلمية والدينية في المدينة)، وقد شهد القرن السابع الهجري مرحلة حيوية في العمران الحلبي، حيث تحولت إلى مدينة محصنة مزدهرة تجسدت فيها روعة العمارة الإسلامية الدفاعية،

وعلى الرغم من التحديات الأمنية فإن الإرث المعماري لهذه الفترة ظل شاهداً على مرونة المدينة وقدرتها على التجدد.

اولا: ترميم المنشآت المتضررة من الهجمات المغولية في حلب في القرن السابع الهجري

تعرضت مدينة حلب لعدة هجمات مغولية مدمرة خلال القرن (السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي) كان أبرزها الغزو الذي قاده هولاكو عام(658هـ/1260م)، والذي أسفر عن تدمير أجزاء كبيرة من المدينة، بما في ذلك العديد من المنشآت الدينية والعسكرية والحضرية(ابن شداد، 1991، 2/ 45)

، وقد بذلت جهود كبيرة لترميم هذه المنشآت في السنوات اللاحقة، سواء في العهد المملوكي أو العهد الأيوبي المتأخر، مما يعكس الأهمية الاستراتيجية والثقافية لحلب .

أبرز المنشآت المتضررة

أ.القلعة: تعد قلعة حلب من أبرز المعالم التي تضررت خلال الغزو المغولي، حيث تعرضت أجزاء من أسوارها وأبراجها للهدم، بدأ ترميم القلعة في عهد الظاهر بيبرس (658–676هـ/1260–1277م) الذي أعاد بناء الأسوار والأبراج المدمرة، كما قام بتعزيز التحصينات الدفاعية لمنع الهجمات المستقبلية(الشيال، 1962، 89).

ب .الجامع الأموي: تعرض الجامع الأموي في حلب لأضرار جسيمة، خاصة في صحنه ومئذنته، وتم ترميمه لاحقًا في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (709–741هـ/1310–1341م) حيث أعيد بناء الأروقة المتضررة وزُينت الواجهات بالزخارف الإسلامية التقليدية.

ج .المدارس الدينية: أضرت الهجمات المغولية بعدد من المدارس الدينية في حلب، مثل المدرسة الحلاوية(المدرسة الحلاوية: هي من أبرز المدارس العلمية في مدينة حلب خلال القرن السابع الهجري، وقد كانت في الأصل كنيسة قديمة تُعرف بكنيسة مار حلاق، حوّلها نور الدين محمود بن زنكي إلى مدرسة بعد أن اشتراها وأوقفها لتدريس العلوم الشرعية والفقهية، وخاصة المذهب الحنفي . (ابن شداد، 1991، 1/ 132) والمدرسة الشاذبختية(المدرسة الشاذبختية: هي من المدارس المهمة في مدينة حلب، وقد أنشأها الأمير شاذبخت بن عبد الله، أحد كبار الأمراء في الدولة الأيوبية، في النصف الأول من القرن السابع الهجري، وجعلها مدرسة لتدريس المذهب الشافعي. (ابن العديم، 1996، 8/ 388)، وتم ترميم هذه المدارس في العهد المملوكي وأعيد تأهيلها لتستأنف دورها التعليمي والديني(العظم، 2001، 203).

د .الأسواق والمنشآت التجارية: تعرضت أسواق حلب مثل: سوق العطارين وسوق الصابون، للتخريب والحرق، وأعيد بناؤها في العهد المملوكي ومع الحفاظ على التخطيط العمراني الأصلي، وساهم في استعادة النشاط الاقتصادي للمدينة، وشكلت جهود الترميم بعد الغزو المغولي مرحلة مهمة في تاريخ حلب العمراني حيث تمت استعادة العديد من المنشآت مع تعزيزها لتكون أكثر مقاومة للأخطار المستقبلية وقد ساهمت هذه الجهود في الحفاظ على الهوية المعمارية والإسلامية للمدينة.

ثانيا: بناء المدارس الأيوبية في حلب خلال القرن السابع الهجري

شهدت حلب في القرن (السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي) نهضة تعليمية وعمرانية كبيرة تحت الحكم الأيوبي، حيث تم بناء وتطوير العديد من المدارس التي أصبحت مراكز إشعاع علمي وفكري، ومن أهم المدارس الأيوبية في حلب التي كانت كمؤسسات للعلم والعمران:

أ. **المدرسة الظاهرية (السلطانية):** أنشأها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي عام 613هـ/1216م، واكتمل بناؤها عام 620هـ/1223م في عهد ابنه الملك العزيز محمد(محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، وُلد في حلب سنة(٦٠٣هـ/١٢٠٦م) وتولّى حكمها بعد وفاة والده سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) وكان آنذاك صغير السن فتولّى تدبير أمور الدولة في بدايتها الأتابك شهاب الدين طغرل إلى أن شبَّ الملك العزيز وتولّى الحكم بنفسه. (ابن الأثير، 1998، 12/ 198)، كانت المدارس هي القلب النابض للحياة، ولم يكن ذلك كله على التعليم، بل كانت أيضًا متحفية ومعاصرة ومراكز اجتماعية.

ب. **مدرسة الفردوس:** تعد مدرسة الفردوس التي أنشأتها السلطانة ضيفة خاتون أرملة الظاهر غازي عام (633هـ/1235م) المثال الأبرز على روعة العمارة والمؤسسة التعليمية في حلب، ولم تكن مجرد مدرسة بل مجمعاً وجامعاً، ومدرسة تدريس الفقه الشافعي، ورباطاً للصوفية، وتربة (مدفن) لمؤسسها، وتتميز بنقوشها الكتابية الرائعة التي تتميز بنصوصاً من القرآن الكريم ونصوصاً وقفية للتبين في أهداف المدرسة وشروط التدريس فيها(الغزي، 1999، 698).

ج. **المدرسة الحلوية:** بنيت على أنقاض كاتدرائية بيزنطية قديمة اي ان المدرسة الحلوية في مدينة حلب لم تنشاء على ارض خالية بلا قيمة ولكن فوق بناء ديني قديم كان قائما قبلها وهذا البناء هو كاتدرائية بيزنطية كانت مخصصة للمسيحين في العصر البيزنطي وعندما استولى المسلمون على حلب وتطورت الحياة فيها خلال العصور الاسلامية استخدم الموقع لبناء مؤسسة تعليمية دينية وجمعت بين العناصر المعمارية الإسلامية والبيزنطية .

ثالثا: الحياة العلمية

يشكل النصف الأول من القرن السابع الهجري، تحت حكم الأسرة الأيوبية، العصر الذهبي للنهضة العلمية في حلب، كان الحكام الأيوبيون، مثل الظاهر غازي فارس(الظاهر غازي: هو الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب (ولد سنة 568هـ/1172م) توفى سنة(613هـ/ 1216م) وهو احد أبناء القائد الشهير صلاح الدين الأيوبي وكان الابن الثالث لصلاح الدين الايوبي عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره عيّنه والده واليًا على حلب وبعض أراضي شمال سوريا وجزء صغير من بلاد ما بين النهرين بعد أن استولى عليها من الزنكيين، وذلك في عام 1186م تقريبًا وبعد وفاة والده عام 1193م توّجه لتثبيت حكمه في حلب واستقلاله النسبي عن إخوته وبقي في الحكم حتى وفاته (613هـ–1216م). (الغزي، 1999، 271–278) العزيز محمد وضيفة خاتون(وصيفة خاتون: وتُعرف في بعض المصادر باسم وصيفة خاتون هي إحدى أبرز الشخصيات النسوية في العصر الأيوبي وتنتمي إلى البيت الأيوبي الحاكم فهي ابنة السلطان العادل أبي بكر بن أيوب وأخت عدد من سلاطين وأمراء الدولة الأيوبية تزوجت من الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب وكان لها نفوذ سياسي وإداري واضح في شؤون الإمارة برز دور ضيفة خاتون بعد وفاة زوجها سنة 613هـ إذ تولّت الوصاية على الحكم في حلب نيابةً عن حفيدها الملك الناصر يوسف واستمرت في إدارة شؤون الإمارة مدة طويلة أظهرت خلالها قدرة سياسية وحكمة في تدبير شؤون الدولة ولا سيما في مرحلة اتسمت بالاضطراب السياسي والصراع بين الأمراء الأيوبيين وقد حرصت على الحفاظ على استقلال حلب النسبي وموازنة علاقاتها مع بقية فروع الأسرة الأيوبية وإلى جانب دورها السياسي اشتهرت ضيفة خاتون بعنايتها بالعمران والمؤسسات الدينية والتعليمية فأنشأت مدرسة الفردوس في حلب سنة 633هـ والتي تُعد من أجمل وأهم المدارس الأيوبية من الناحية المعمارية والعلمية كما اهتمت بالأوقاف وأعمال البر مما أسهم في ازدهار الحياة العلمية والدينية في المدينة توفيت ضيفة خاتون سنة 640هـ/1242م ودُفنت في حلب وخلّفت أثرًا بارزًا في تاريخها السياسي. (ابن شداد، 1991، 2/ 168–171)، رعاة للعلم والعلماء، دعمهم في بناء المدارس لتدريس الفقه على المذهبين الشافعي والحنفي، ولها أوقافاً سخية بالإضافة إلى ذلك تغطية نفقة العاملين في المدارس والطلاب، والعلماء أصبحت حلب بفضل هذا الدعم وجهة للعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، الذين وجدوا فيها بيئة آمنة ومحفزة للبحث والتدريس والتأليف، منهم ابن العديم: وكانت حلب في هذه الفترة

بصفة عامة تضم العلماء، والتي كانت في مقدمتهم المؤرخ والقاضي والفقيه كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله، المعروف بابن العديم(586 – 660هـ / 1192 – 1262م)، يتميز ابن العديم بإنتاج فني للحياة العلمية في حلب، وتكمن أهميته في:

موسوعته التاريخية التراثية (بغية الطلب في تاريخ حلب) وهي موسوعة تاريخية جغرافية واسعة جدا أرح فيها لكل من سكن حلب أو مر بها من العلماء والأدباء، ولهذا الكتاب مصدراً لا غنى عنه تاريخ شمال الشام في العصور الوسطى، وكما اختصره في كتاب آخر هو (زبدة الحلب في تاريخ حلب) (ابن العديم، 1996، 1/ 15–20) ولم يكن ابن العديم مجرد عالم منعزل في مكتبته، بل كان فاعلا في الحياة السياسية، وتقلد منصب القضاء، وأرسله حكام حلب الأيوبيون في سفارات متعددة إلى بغداد ومصر، مما يعكس بوضوح حكمته وخبرته، وتوفي في القاهرة بعد أن فر إليها، كانت حلب مركزاً لعائلات علمية عريقة أستمر تأثيرها لقرون في حين قد برزوا في العصر المملوكي المتأخر عائلات علمية ولها نفوذها كانت راسخة في حلب منذ القرن السابع الهجري، مما يوضح امتداد التراث العلمي عبر الأجيال(السخاوي، 1992، 9/8).

صمود الفكر والنشاط العلمي

على الرغم من احتجاجات والاضطرابات السياسية والعسكرية التي اندلعت في القرن السابع الهجري، بدأت من أواخر العهد الأيوبي ومروراً بكارثة غزو المغول عام (658هـ/1260م)، وانتهىً بظهور الدولة المملوكية، وإن حلب حافظت على مكانتها كمنارة للعلم ومركز إشعاع ثقافي في بلاد الشام، ولقد تجلى هذا الصمود الفكري في العقود العلمية، وحضور العلماء فقط تركوا بصمات خالدة في التراث الإسلامي، بالإضافة إلى التوسع في بناء المدارس التي كانت غير مسموح بها والتي تغذي الحياة في المدينة(الأخرس، 2011، 147–185).

كما صاحب هذا الصمود هجرة العلماء موقتا عن حلب ثم عودتهم مثل: ابن عديم الذي ذهب إلى مصر، وبعد أن بسط المماليك سلطانهم وعاد الأمان، وعم إعادة بناء المباني والمساجد والمرافق التي نجت من الدمار لتعود حلب مرة أخرى مركزاً مهماً لتدريس الفقه والحديث وعلوم اللغة(السيّد، 2005، 214–216) في عمل وتوسيع المدارس كالفردوس الأخرى، يبرهن على بنية تحتية من حلب كانت القوة والمتانة بحيث تمكنها من تجاوز أزماتها.

المبحث الثالث: المظاهر العلمية لحلب خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي

اولا: النشاط العلمي في حلب خلال القرن السابع الهجري

شهدت حلب خلال القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي حركة علمية نشطة، إذ أصبحت مركزًا مهمًّا من مراكز العلم في بلاد الشام، واستقطبت عددًا كبيرًا من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء، وقد ساعد على ذلك ما تمتعت به المدينة من استقرار نسبي بعد نهاية الحكم الأيوبي، وما وفره المماليك لاحقًا من رعاية علمية ودعم للمؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد والزوايا، تجلت في حضور كبار العلماء وتزايد الاهتمام بالمؤسسات التعليمية، فقد كانت المدينة مركزًا يجذب العلماء والطلاب، مما أثرى الحياة الفكرية وأسهم في نشر المعرفة، وتميزت حلب بنشاط علمي مكثف رغم التحديات السياسية والعسكرية التي واجهتها المنطقة، وقد تجلى هذا النشاط(سليماني، 2015، 152–165).

1. الحركة العلمية

كانت حلب خلال هذه الفترة محطة لعديد من العلماء البارزين الذين تركوا بصمات واضحة في مختلف فروع المعرفة، من علوم الشريعة والحديث والفقه إلى الأدب واللغة والتاريخ والطب والفلك، ومن أبرز العلماء الذين عاشوا أو وفدوا إلى حلب في هذه الفترة ابن أبي طيّ الحلبي(ابن أبي طَيّ الحلبي أحد أبرز المؤرخين والأدباء الذين عاشوا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي واسمه الكامل محمد بن علي بن أحمد بن أبي طيّ الحلبي، وهو من أسرة علمية معروفة في مدينة حلب وُلِد فيها ونشأ في ظلّ بيئة علمية زاخرة بالعلماء والمدارس، فنبغ في الأدب والتاريخ، واشتهر بذكائه وسعة اطلاعه ودقّة ملاحظته للأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها حلب وبلاد الشام في عصره(ابن العديم، 1996، 152/1) (توفي 630هـ).

2. نشاط المدارس وتوسيعها

لم يقتصر النشاط العلمي على حضور العلماء فحسب، بل شمل أيضًا استمرار نشاط المدارس وتوسيعها، كانت المدارس في حلب مراكز تعليمية متخصصة في تدريس الفقه، الحديث، اللغة العربية، والعلوم العقلية، من حيث العدد والمكانة العلمية، وهو ما يعكس الحيوية الثقافية والفكرية التي عرفتها المدينة في تلك الحقبة، فقد أصبحت المدارس مراكز رئيسة للعلم والتعليم، ومؤسسات أساسية لتخريج العلماء والفقهاء والمحدثين(ابن العديم، 1996، 215/2).

أ. **توسع المدارس:** شهدت حلب حركة بناء واسعة للمدارس، مثل المدرسة الزجاجية(المدرسة الزجاجية هي مدرسة اسلامية انشئت في القرن السابع الهجري ونسبت الى بانيها الامير زكي الدين عبد الله الزجاجي أحد امراء الايوبيين. (الغزي، 1999، 1/ 298–299) والمدرسة الفردوسية التي أسستها الخاتون فاطمة(الخاتون فاطمة بنت أحمد الصلاحية: من النساء البارزات في الحياة العلمية والاجتماعية بمدينة حلب خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وهي من الأسرة الصلاحية الأيوبية التي عُرفت باهتمامها بالعلم والعمران ورعاية المؤسسات الدينية والتعليمية. (ابن شداد، 1991، 312/2) بنت أحمد الصلاحية سنة(633هـ/1235م)، وكانت من كبريات المدارس النسائية الوقفية، عُرفت بجمال عمارتها وكثرة أوقافها، وبتعدد تخصصاتها في الفقه والحديث والتفسير، أما المدرسة السلطانية فقد لعبت دورًا كبيرًا في الحياة التعليمية، إذ كانت تدرّس العلوم الدينية والعقلية، وتستقطب الطلاب من مختلف الأقاليم الإسلامية بفضل دعم الأمراء والأوقاف السخية التي خُصصت لها، واستمرت هذه المدارس في أداء دورها التعليمي الفعال خلال القرن السابع الهجري، واستقطبت الطلاب من حلب وخارجها وكانت هذه المدارس تُقدم منحًا للطلاب وتوفر لهم السكن، مما ساعد على استقطاب الكفاءات العلمية(النعيمي، 1990، 1/ 120–125).

ب. **توسع المناهج والعلوم:** لم تقتصر المناهج على العلوم الدينية، بل امتدت لتشمل علومًا أخرى مثل الطب، الفلك، والرياضيات، وإن كان التركيز الأساسي لا يزال على العلوم الشرعية واللغوية، وهذا التوسع يعكس التنوع في الاهتمامات العلمية للمجتمع الحلبي، وإن استمرار هذا النشاط العلمي وحضور كبار العلماء وتوسع المدارس في حلب خلال القرن السابع الهجري، يؤكد على مكانة المدينة كمركز إشعاع ثقافي وعلمي في المنطقة، وعلى اهتمام حكامها وعلمائها بدعم المعرفة ونشرها.

ثانيا: الدور الاجتماعي والروحي للتصوف والزوايا(الزوايا: في القرن السابع الهجري كانت اماكن مخصصة لاقامة المتصوفة والطلاب ومرتادي الطرق الصوفية. (عبد الرحيم، 2001، 45–67) في حلب خلال القرن (7 هـ/ 13)

لم يكن القرن السابع الهجري في حلب مجرد حقبة من التغيرات النفسية والصدمة، بل كان مسرحاً لتطورات روحية واجتماعية فعالة تجلت بوضوح في التوسع الكبير للتصوف(التصوف انتقل في القرن السابع الهجري من كونه تجربة فردية يغلب عليها الطابع الزهدي والانعزال الى حركة منظمة ذات مؤسسات تعليمية وروحية واضحة. (الجاسر، 2006، 85) ودعم الايوبيين لهذا الخط كونه يمثل الاسلام المعتدل، ثم كارثة الغزو المغولي عام (658هـ/1260م)التي اعقبتها سيطرة المماليك وازدياد الخوانق(الخوانق (مفردها خانقاه) مثلت احد ابرز المؤسسات الدينية والاجتماعية

التي ارتبطت بالحياة الصوفية. (الجاسر، 2006، 91) وظهورها كقوى فاعلة في المجتمع الحلبي(حيدر، 2001، 269).

رعاية الدولة الأيوبية والمملوكية للتصوف

أولى الحكام الأيوبيون ومن بعدهم المماليك اهتماما خاصا بالتصوف والمتصوفة، ولم يكن هذا الدعم نابعاً من دوافع التقوى والزهد، بل كان بمثابة أداة سياسية فمن خلال بناء وتخصيص الأوقاف (الوقف الخيري) للخوانق والزوايا يسعى الحكام إلى كسب الولاء الشعبي، وترسيخ شرعيتهم كحماة للدين وأهله، ويذكر ابن شداد عدداً من الخوانق والزوايا التي الخلق للأنسان قل: أسست أو رُعيت من قبل الأمراء والوجهاء في العصر الأيوبي(ابن شداد، 1991، 1/95-120) من الخوانق والزوايا:

1 .الْخَانَقَاه الْفِرْدَوْسِيَّة (خانقاه الصوفية)

تُعَدُّ من أعظم وأشهر خانقاه في حلب على الإطلاق إذ يصفها ابن شداد بأنها دار عظيمة بناها الملك الظاهر تقع خارج باب المقام (المعروف أيضًا بباب العراق) على سفح جبل الجوشن(جبل الجوشن: هو أحد الجبال المشهورة في مدينة حلب، ويقع في جهتها الغربية، ويُعدّ من المرتفعات التي تطلّ على المدينة القديمة كان لهذا الجبل أهمية جغرافية وعسكرية منذ العصور الإسلامية المبكرة، إذ اتُّخذ موضعًا للمراقبة والتحصين نظرًا لإشرافه على معظم أحياء حلب كما شُيّدت بالقرب منه بعض المنشآت العمرانية والدينية في العصور اللاحقة، خصوصًا في العصرين الزنكي والأيوبي، لما له من موقع استراتيجي يربط بين المدينة ومحيطها الغربي من القرى والبساتين وقد أشار إليه عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين في مؤلفاتهم عند وصفهم لتضاريس حلب وما يحيط بها من جبال وتلال. (ابن شداد، 1991، 1/ 34) (ابن شداد، 1991، 1/145-146)، وان اختيار هذا الموقع خارج الأسوار يدل على سعَة المساحة المخصصة لها وربما رغبة في توفير جوٍّ من العزلة والطمأنينة للصوفية.

2 .خَانَقَاه الصَّاحِبَة

خانقاه كبيرة اقترنت بتربة (ضريح) للواقفة نفسها ضيفة خاتون بنت الملك كانت من أبرز النساء الراعيات للعمارة الدينية في العصر الأيوبي، كانت أيضًا عند سفح جبل الجوشن قرب الخانقاه الفرودسية، ومما يشير إلى تحول هذا الموقع إلى مجمع ديني صوفي مهم(ابن شداد،

1991، 147/1)، ويمثل إنشاء هذه الخانقاه الدور الفاعل والمهم للأميرات والأرامل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، عبر رعايتهن للأعمال الخيرية والعلمية.

3 .زَاوِيَة الشَّيْخ مَحْمُود الْأَنْطَاكِيّ

زاوية متواضعة الحجم وهي نموذج للزوايا المنتشرة داخل الأحياء تقع السوق الطويل(السوق الطويل: من أهمّ الأسواق التاريخية في مدينة حلب خلال القرن السابع الهجري، وقد مثّل شرياناً تجارياً رئيساً يربط بين الجامع الأموي الكبير ومركز المدينة التجاري تميّز السوق بطابعه المعماري المملوكي المبكر، حيث سُقِف بالحجارة والعقود المتقاطعة لحماية المتسوقين من الحرّ والمطر، واصطفت على جانبيه الدكاكين التي تخصصت ببيع الأقمشة والعطور والمعادن الثمينة كما كان السوق الطويل مركزاً للتبادل التجاري بين تجار حلب والبلاد المجاورة مثل دمشق، والموصل، والأناضول، ما جعله أحد أبرز مظاهر النشاط الاقتصادي والحضاري في المدينة خلال تلك الحقبة. (ابن شداد، 1991، 183/1)، ان وجود هذه الزاوية في السوق يدل على وظيفتها المزدوجة كمركز للذكر والتعبد، وملجأ للفقراء والمسافرين في قلب النشاط الاقتصادي للمدينة ارتباط اسمها باسم شيخها محمود الأنطاكي يدل على أنها كانت مركزًا لنشر طريقته الصوفية(درنيقة، 2010، 75).

4 .زَاوِيَة الشَّيْخ يَعْقُوب

تقع بالحارة المعروفة بحارة الروم، ويذكرها ابن شداد في سياق وصفه لأحياء حلب، مما يؤكد الطابع المحلي للزوايا وانتشارها في مختلف الأحياء لتلبية الاحتياجات الروحية اليومية للسكان، على عكس الخوانق الكبرى ذات الطابع الملكي والمؤسسي(ابن شداد، 1991، 195/1).

أزمة غزو المغول:

شكل الدمار الذي ألحقه المغول بحلب عام(658هـ /1260م) نقطة تحول، في البنية الاجتماعية فتلاشي الشعور بالأمان والعزوف عن الدنيا والاقبال الى الاخرة، ووجد الناس في التصوف ملاذاً روحياً يوفر السكينة والعزاء للهروب من الواقع.

الدور الاجتماعي للزوايا: أدّت الزوايا في مدينة حلب خلال القرن السابع الهجري دورًا اجتماعيًا بارزًا، إذ لم تكن مقتصرة على الوظيفة الدينية أو الصوفية فحسب، بل كانت أيضًا مؤسسات ذات طابع خيري وتربوي واجتماعي، فقد احتضنت الزوايا الفقراء والمساكين وعابري السبيل، ووفّرت لهم المأوى والطعام، كما ساهمت في نشر قيم التكافل الاجتماعي بين سكان المدينة(الجاسر، 2006،

115)، إضافةً إلى ذلك، كانت الزوايا مراكز لتعليم العلوم الدينية والقرآن الكريم، وعُقدت فيها حلقات الذكر والمواعظ، مما جعلها مؤثرة في تكوين الوعي الديني والاجتماعي لدى المجتمع الحلبي وقد دعمها الحكّام والأثرياء بالأوقاف لضمان استمرار نشاطها ودورها في خدمة الناس.

مراكز العبادة والرشاد الروحي:

كانت الوظيفة الأساسية للزاوية هي مقراً رسمياً للشيخ وأتباعه حيث تُقام فيها حلقات الذكر وتمارس الرياضات الروحية، ويتلقى المريدون التربية السلوكية القائمة على تزكية النفس والسلوكبالتحلي بكل شيء جميل والتخلي عن كل شيء قبيح (حيدر، 2001، 94-97)

اولا: مراكز لتخريج العلماء:

إلى جانب العلوم الروحية(العلوم الروحية: في مدينة حلب تلك العلوم التي ارتبطت بالجانب الصوفي والتربوي، واهتمت بتزكية النفس وتهذيب السلوك، وإصلاح الباطن من خلال المعرفة بالله تعالى ومجاهدات النفس والالتزام بالأخلاق الفاضلة. (ابن شداد، 1991، 1/ 190)، كانت بعض مراكز الخوانق الكبرى تدرس العلوم الشرعية كالفقه والحديث والتفسير، مما ساهم في استقطابها طلبة العلم وقد خرّجت هذه المؤسسات العديد من العلماء الذين جمعوا بين التصوف والفقه، وأسهموا في إثراء الحياة هم:

1. الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676 هـ - 1277 م): إمام فقهاء الشافعية، تميز بالزهد والانقطاع للعلم والعبادة وقد تأثر بما كان في حلب من بيئة علمية وصوفية تجمع بين الفقه والسلوك، وظهر ذلك في منهجه الوسطي القائم على تزكية النفس وضبط السلوك بالأحكام الشرعية. كما استفاد من نظام الخوانق الذي شجّع على الجمع بين العبادة والعلم المنظم(ابن كثير، 1988، 13/ 278).

2. الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت 660 هـ - 1262 م): عُرف بـ"سلطان العلماء"، وكان من أبرز الداعين إلى الإصلاح الديني والاجتماعي مرّ بحلب خلال رحلاته في بلاد الشام، وتأثر بما شاهده من تنظيم الخوانق والزوايا، حيث لمس فيها دورها في تربية المجتمع وتقوية روح التكافل وقد أشاد بأثرها في تهذيب النفوس وإصلاح السلوك(السبكي، 1992م، 8/ 208).

3. الإمام أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت 656 هـ - 1258 م): من كبار تلامذة أبي الحسن الشاذلي، وكان له دور بارز في نشر الطريقة الشاذلية استفاد من البيئة الروحية في حلب وما فيها من خوانق نشطة في نشر الذكر والتعليم الروحي، فانعكس ذلك في منهجه القائم على التوازن بين العلم والذوق(ابن الملقن، 1993، 141).

4. الإمام أحمد بن عطاء الله الإسكندراني (ت 709 هـ – 1309 م): من أئمة التصوف الشاذلي، وصاحب الحكم العطائية تأثر بالجو الروحي الذي ساد بلاد الشام ولاسيما حلب، حيث كانت الخوانق فيها مراكز تعليم وتهذيب وقد انعكس ذلك في رؤيته للتربية الروحية الجماعية المنظمة، التي دعا إليها في كتبه(ابن حجر، 1993، 1/ 120).

مراكز للتضامن الاجتماعي:

كان للخوانق دوراً محورياً كملجأ للضعفاء والمحتاجين،مثل"خانقاه الفرافرة"، الذي اسسه الملك الناصر التي كانت تقدم خدمات الإطعام والإيواء على نطاق واسع، وتستقبل الصوفية من مختلف الآفاق(طلس، 1980، 88).

ثانيا: الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في حلب:

كانت حلب في القرن السابع الهجري موطناً لنشاط طرق صوفية متعددة، لكل منها سلسلتها الروحية (السند) ومنهجها الخاص في التربية، ومن أبرز تلك الطرق(الأخرس، 2011، 147–185):

أ.الطريقة القادرية: نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وانتشرت في حلب عبر مريديها الذين أسسوا الخوانق والزوايا لتعليم علوم التزكية والسلوك والتربية الروحية(الجاسر، 2006، 121)، وساهمت في تعزيز قيم الزهد والتقوى بين أهل المدينة(ابن شداد، 1991، 1/ 195).

ب.الطريقة السهوردية: نسبة إلى شهاب الدين عمر السهروردي(شهاب الدين عمر السهروردي: في مدينة حلب كأحد العلماء والمتصوفة البارزين الذين جمعوا بين الفقه والتصوف، حيث اهتم بتعليم علوم السلوك والتزكية في المدينة وقد استفاد من البيئة الروحية للحلبيين في نشر منهجه وتعاليمه الصوفية، فكانت الخوانق مركزًا لتوجيهه الروحي وتعليم تلاميذه كيفية الالتزام بالأخلاق والتقوى. (ابن شداد، 1991، 1/ 198)، وكان لها حضور قوي في الاوساط الحاكمة وامتازت بالتركيز على التأمل والذكر الجماعي(المقريزي، 1998، 3/ 215)، وقد وجدت في خوانق حلب بيئة مناسبة لنشر تعليماتها الروحية بين طلبة العلم والمتصوفة(الشعراني، 1998، 1/ 130).

الخاتمة

1. أسهم التنافس السياسي بين الزنكيين والأيوبيين في إضعاف الحكم الزنكي وانتهائه في حلب.
2. مثّل الغزو المغولي عام 658هـ مرحلة تدمير شاملة، لكنه لم يُنهِ الدور الحضاري للمدينة.
3. لعب المماليك دورًا محوريًا في إعادة إعمار حلب وتعزيز تحصيناتها، وجعلها قاعدة عسكرية مهمة.
4. شهدت المدينة نهضة عمرانية شملت القلعة، والأسوار، والأسواق، والمساجد، والمدارس.
5. حافظت حلب على مكانتها العلمية بفضل العلماء، والمدارس، ونظام الأوقاف.
6. شكّل التصوف والزوايا والخوانق عنصرًا أساسيًا في الاستقرار الاجتماعي والروحي للمجتمع الحلبي.
7. تؤكد هذه المرحلة التاريخية قدرة حلب على الصمود والتجدد رغم الأزمات السياسية والعسكرية.

المصادر

1. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري .(1998) .*الكامل في التاريخ* .بيروت: دار صادر.
2. ابن الشحنة الحلبي، محمد بن علي .(1984) .*الدر المنتخب في تاريخ حلب* (تحقيق عبد الله محمد الدرويش). دمشق: دار الفكر.
3. ابن العديم، عمر بن أحمد .(1996) .*بغية الطلب في تاريخ حلب* (تحقيق سهيل زكار). دمشق: دار الفكر.
4. ابن الملقن، عمر بن علي .(1993) .*طبقات الأولياء* .بيروت: دار الكتب العلمية.
5. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي .(1993) .*الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة* . بيروت: دار الكتب العلمية.
6. ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع .(1991) .*الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة* (تحقيق يحيى زكريا عبده). دمشق: دار الفكر.
7. ابن عربشاه، أحمد بن محمد .(1979) .*عجائب المقدور في أخبار تيمور* (تحقيق علي محمد عمر). القاهرة: مكتبة الخانجي.
8. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد .(2010) .*مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* (تحقيق كامل سلمان الجبوري). بيروت: دار الكتب العلمية.
9. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر .(1988) .*البداية والنهاية* .بيروت: دار إحياء التراث العربي.
10. ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم .(1953) .*مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب* (تحقيق جمال الدين الشيال). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
11. الأخرس، وليد عبد الرحمن. (2011). المدارس الأيوبية ومكتباتها ونظامها الإداري والمالي في مدينة حلب (589–658هـ / 1193–1260م) .*حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط*، العدد الأول،
12. الجاسر، لمياء .(2006) .*دور التصوف في مدينة حلب خلال العصرين الزنكي والأيوبي* (رسالة ماجستير). جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

13. حيدر، علي .(2001) .*مدخل إلى دراسة التصوف: الشعر الصوفي في القرن السابع الهجري والعصر المملوكي الأول والعصر العثماني* .القاهرة: دار الشموس.
14. درنيقة، محمد أحمد .(2010) .*الزوايا الصوفية في حلب العثمانية* .حلب: دار القلم.
15. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد .(1993) .*تاريخ الإسلام* .بيروت: دار الكتب العلمية.
16. زكار، سهيل .(1993) .*تاريخ حلب في العصر الأيوبي والمملوكي* .دمشق: دار الفكر.
17. الزيات، فؤاد .(2016) .*التطور العمراني والتحصينات في حلب خلال العصور الوسطى* . دمشق: دار الشام للنشر والتوزيع.
18. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب .(1992) .*طبقات الشافعية الكبرى* .القاهرة: دار هجر.
19. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن .(1992) .*الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع* .بيروت: دار الكتب العلمية.
20. سليماني، عبد القادر أحمد. (2015). مظاهر الحياة العلمية في حلب في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .*دورية KAN التاريخية*، مج8، العدد 29، 152–165.
21. السيّد، عز الدين علي .(2005) .*حلب في العصور الوسطى: دراسة في تاريخها الحضاري والسياسي* .دمشق: دار الفكر.
22. الشعراني، عبد الوهاب .(1998) .*الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار)* .بيروت: دار الكتب العلمية.
23. الشيال، جمال الدين .(1962) .*تاريخ دولة المماليك* .القاهرة: دار المعارف.
24. طلس، كامل .(1980) .*الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب* .دمشق: وزارة الثقافة.
25. عبد الرحيم، أحمد. (2001). دور الربط والخانقاوات في الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي .*مجلة التاريخ العربي*، مج12، ع3.
26. العظم، خالد .(2001) .*مساجد حلب ومدارسها* .بيروت: دار الفكر.
27. الغزي، كامل .(1999) .*نهر الذهب في تاريخ حلب* .دمشق: دار الفكر.
28. قاسم عبده قاسم .(1998) .*عصر سلاطين المماليك* .القاهرة: دار المعارف.
29. القلقشندي، أحمد بن علي .(1987) .*صبح الأعشى في صناعة الإنشا* .بيروت: دار الفكر.

30. المقريزي، أحمد بن علي .(1998) .*الخطط* .القاهرة: دار الكتب.

31. النعيمي، عبد القادر بن عمر .(1990) .*الدارس في تاريخ المدارس* .دمشق: دار الفكر.

32. الهمذاني رشيد الدين فضل الله .(1987) .*جامع التواريخ* .طهران: منشورات جامعة طهران.

References

1. Ibn al-Athīr, ʿIzz al-Dīn ʿAlī ibn Muḥammad al-Jazarī. (1998). *Al-Kāmil fī al-tārīkh* [The Complete History]. Beirut: Dār Ṣādir.
2. Ibn al-Shiḥnah al-Ḥalabī, Muḥammad ibn ʿAlī. (1984). *Al-Durr al-muntakhab fī tārīkh Ḥalab* [The Selected Pearls in the History of Aleppo] (ʿAbd Allāh Muḥammad al-Darwīsh, Ed.). Damascus: Dār al-Fikr.
3. Ibn al-ʿAdīm, ʿUmar ibn Aḥmad. (1996). *Bughyat al-ṭalab fī tārīkh Ḥalab* [The Ultimate Quest in the History of Aleppo] (Suhayl Zakkār, Ed.). Damascus: Dār al-Fikr.
4. Ibn al-Mulaqqin, ʿUmar ibn ʿAlī. (1993). *Ṭabaqāt al-awliyāʾ* [Biographical Classes of the Saints]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
5. Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn ʿAlī. (1993). *Al-Durar al-kāminah fī aʿyān al-miʾah al-thāminah* [Hidden Pearls on the Eminent Figures of the Eighth Century]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
6. Ibn Shaddād, Bahāʾ al-Dīn Yūsuf ibn Rāfiʿ. (1991). *Al-Aʿlāq al-khaṭīrah fī dhikr umarāʾ al-Shām wa al-Jazīrah* [Precious Connections in Mentioning the Princes of Syria and al-Jazīrah] (Yaḥyā Zakariyyā ʿAbduh, Ed.). Damascus: Dār al-Fikr.
7. Ibn ʿArabshāh, Aḥmad ibn Muḥammad. (1979). *ʿAjāʾib al-maqdūr fī akhbār Tīmūr* [Marvels of Destiny in the History of Tamerlane] (ʿAlī Muḥammad ʿUmar, Ed.). Cairo: Maktabat al-Khānjī.
8. Ibn Faḍl Allāh al-ʿUmarī, Shihāb al-Dīn Aḥmad. (2010). *Masālik al-abṣār fī mamālik al-amṣār* [Paths of Insight into the Kingdoms of the Regions] (Kāmil Salmān al-Jubūrī, Ed.). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
9. Ibn Kathīr al-Dimashqī, Ismāʿīl ibn ʿUmar. (1988). *Al-Bidāyah wa al-nihāyah* [The Beginning and the End]. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.
10. Ibn Wāṣil al-Ḥamawī, Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn Sālim. (1953). *Mufarrij al-kurūb fī akhbār Banī Ayyūb* [Relief of Distress in the History of the Ayyubids] (Jamāl al-Dīn al-Shayyāl, Ed.). Cairo: Maṭbaʿat Lajnat al-Taʾlīf wa al-Tarjamah wa al-Nashr.
11. Al-Akhras, Walīd ʿAbd al-Raḥmān. (2011). Ayyubid schools, their libraries, and their administrative and financial systems in the city of Aleppo (589–658 AH / 1193–1260 AD). *Yearbook of the Islamic and Medieval History Seminar*, 1.

12. Al-Jāsir, Lumayyā. (2006). *The role of Sufism in the city of Aleppo during the Zengid and Ayyubid periods* (Master's thesis). University of Aleppo, Faculty of Arts and Humanities.
13. Ḥaydar, ʿAlī. (2001). *An introduction to the study of Sufism: Sufi poetry in the seventh Hijri century, the early Mamluk period, and the Ottoman period*. Cairo: Dār al-Shumūs.
14. Darnīqah, Muḥammad Aḥmad. (2010). *Sufi lodges in Ottoman Aleppo*. Aleppo: Dār al-Qalam.
15. Al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad. (1993). *Tārīkh al-Islām* [History of Islam]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
16. Zakkār, Suhayl. (1993). *The history of Aleppo during the Ayyubid and Mamluk periods*. Damascus: Dār al-Fikr.
17. Al-Zayyāt, Fuʾād. (2016). *Urban development and fortifications in Aleppo during the Middle Ages*. Damascus: Dār al-Shām for Publishing and Distribution.
18. Al-Subkī, Tāj al-Dīn ʿAbd al-Wahhāb. (1992). *Ṭabaqāt al-Shāfiʿiyyah al-kubrā* [The Major Biographical Dictionary of Shafiʿi Scholars]. Cairo: Dār Hajar.
19. Al-Sakhāwī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān. (1992). *Al-Ḍawʾ al-lāmiʿ fī aʿyān al-qarn al-tāsiʿ* [The Luminous Light on the Notables of the Ninth Century]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
20. Sulaymānī, ʿAbd al-Qādir Aḥmad. (2015). Aspects of scholarly life in Aleppo during the seventh Hijri / thirteenth century AD. *KAN Historical Journal*, 8(29), 152–165.
21. Al-Sayyid, ʿIzz al-Dīn ʿAlī. (2005). *Aleppo in the Middle Ages: A study of its cultural and political history*. Damascus: Dār al-Fikr.
22. Al-Shaʿrānī, ʿAbd al-Wahhāb. (1998). *Al-Ṭabaqāt al-kubrā (Lawāqiḥ al-anwār)* [The Great Biographical Compendium]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
23. Al-Shayyāl, Jamāl al-Dīn. (1962). *History of the Mamluk state*. Cairo: Dār al-Maʿārif.
24. Ṭalās, Kāmil. (1980). *Islamic and historical monuments in Aleppo*. Damascus: Ministry of Culture.
25. ʿAbd al-Raḥīm, Aḥmad. (2001). The role of ribāṭs and khānqāhs in social life during the Mamluk period. *Journal of Arab History*, 12(3).
26. Al-ʿAẓm, Khālid. (2001). *Mosques and schools of Aleppo*. Beirut: Dār al-Fikr.

27. Al-Ghazzī, Kāmil. (1999). *Nahr al-dhahab fī tārīkh Ḥalab* [The Golden River in the History of Aleppo]. Damascus: Dār al-Fikr.
28. Qāsim, ʿAbduh Qāsim. (1998). *The age of the Mamluk sultans*. Cairo: Dār al-Maʿārif.
29. Al-Qalqashandī, Aḥmad ibn ʿAlī. (1987). *Ṣubḥ al-aʿshā fī ṣināʿat al-inshāʾ* [Dawn for the Blind in the Art of Composition]. Beirut: Dār al-Fikr.
30. Al-Maqrīzī, Aḥmad ibn ʿAlī. (1998). *Al-Khiṭaṭ* [Topographical Plans of Egypt]. Cairo: Dār al-Kutub.
31. Al-Nuʿaymī, ʿAbd al-Qādir ibn ʿUmar. (1990). *Al-Dāris fī tārīkh al-madāris* [The Student in the History of Schools]. Damascus: Dār al-Fikr.
32. Al-Hamadhānī, Rashīd al-Dīn Faḍl Allāh. (1987). *Jāmiʿ al-tawārīkh* [Compendium of Chronicles]. Tehran: University of Tehran Press.